التحليـــــل النفســـــي للتفكيـــــر!!*

أ.د. معاذ قنبر – التحليل النفساني – سوريا

التفكير من منظور تحليلي

يعتبر التفكير الخطوة الأولى الأساسية في عمليتي الفهم والإدراك

لماذا نرغب بالفهم؟ نرغب به لأنه يجلب لنا الاطمئنان والشعور بالتفوق, وهذا الشعور نفسه, مصدر المتعة الكبرى التي نصف بها لذة المعرفة التي تجنبنا ألم القلق والخوف من المجهول

يمكننا أن نتفق بداية على أن التفكير هو آلية معاوضة نفسية ناتجة عن القلق والدهشة التي تصيب الإنسان أمام عالم خارجي مليء بالتحديات الموضوعية, وآخر داخلي غريزي مليء بالرغبات التي تعرضت للكبت وتشوهت لدرجة لم نعد نستطيع معرفة أساسها الواعي

إن ما نملكه من أفكار عن العالم, يشعرنا غالباً بالأمن والأمان, لذلك نخاف المجهول, ومن ثم نحجم عن أن نخطو أي خطوة في اتجاهه

هذه الخطوة إذا قُدر لنا أن نخطوها, تبدو غير خطيرة بعد حدوثها, ولكنها تبدو خطيرة جداً قبل الإقدام عليها, ومن هنا

يعتبر التفكير الخطوة الأولى الأساسية في عمليتي الفهم والإدراك, ولكن لماذا نرغب بالفهم؟ نرغب به لأنه يجلب لنا الاطمئنان والشعور بالتفوق, وهذا الشعور نفسه, مصدر المتعة الكبرى التي نصف بها لذة المعرفة التي تجنبنا ألم القلق والخوف من المجهول. فنحن نخاف ما نجهله, لذلك يمكننا أن نتفق بداية على أن التفكير هو آلية معاوضة نفسية ناتجة عن القلق والدهشة التي تصيب الإنسان أمام عالم خارجي مليء بالتحديات الموضوعية, وآخر داخلي غريزي مليء بالرغبات التي تعرضت للكبت وتشوهت لدرجة لم نعد نستطيع معرفة أساسها الواعي. وكما تكره الطبيعة الخواء, كذلك يكره العقل العشوائية, لذلك نرى وبصورة آلية, النظام في كل شيء, نرى صوراً في النجوم فوقنا, ونسمع أصواتاً في ضجيج هائل للنهر, وموسيقى في جو عاصف.

إن ما نملكه من أفكار عن العالم, يشعرنا غالباً بالأمن والأمان, لذلك نخاف المجهول, ومن ثم نحجم عن أن نخطو أي خطوة في اتجاهه, ومثل هذه الخطوة إذا قُدر لنا أن نخطوها, تبدو غير خطيرة بعد حدوثها, ولكنها تبدو خطيرة جداً قبل الإقدام عليها, ومن هنا كان الخوف منها, وفق قاعدة أن كل اندفاع يشكل مصدراً للتوتر – القلق– عودة المكبوت, فلا أمن و لا أمان إلا في الأشياء القديمة المجربة.إن رغبة المعرفة التي تحرض التفكير تتمثل إذاً في طرد الخوف والعودة للطمأنينة, والشيء الباعث على الخوف الذي يشكل موضوع الحصر والقلق, هو على الدوام ظهور عامل رضّي مقلق يتعذر تفاديه وفقاً لمعيار مبدأ اللذة, وإننا لندرك للحال بأن هذا المبدأ لا يكفي ليدرأ عنا خطراً خارجياً, بل كل شأنه أن يدرأ عنا أذىً معيناً قد يتعرض له تنظيمنا النفسي.

لذلك لا يمكن النظر إلى التفكير باعتباره عملية بيولوجية فقط, بل هو بالإضافة لذلك عملية سيكولوجية ديناميكية, وهنا يتجلى اكتشاف التحليل النفسي الفريد في إرجاع النفسي ليس إلى البيولوجي وحسب, بل في الكشف عن الجانب النفسي في الوظائف التي يُعتقد غالباً أنها بيولوجية وجسدية على نحو كلي. ذلك أن الغاية الرئيسية لكل تفكير أو فكر هي التواصل مع عالم أو فكرة أو شخص ما, قد يكون التواصل مع العالم سامياً أو وضيعاً, ولكن التواصل حتى مع أحط أنواع النماذج مُفضّل عن الانعزال لأبعد الحدود. فأي عادة أو اعتقاد أو تأمل أو تصعيد, مهما كان

منافياً للعقل ومنحطاً, تكون مهمة أن يربطوا الفرد بالآخرين باعتبارها ملاذات تحمي الإنسان من أشد ما يرهبه, العزلة وقلقها. إن الفكر ليس بحاجة لإشباع منظم مرتّد إلى ما يديم أو يقيم الاستقراء المادي فقط, بل يحتاج أيضاً لإشباع ما يرتّد إلى حاجة البشري للأمن والحب والاطمئنان والرضا الإيجابي عن الذات, والشعور بالتقدير الذي يمنحنا إياه الآخر أو يُقَر لنا به في العالم. إنه يعني إرادة التعبير وإدراك للآخر كموضوعي (طبيعي أو اجتماعي أو إنساني), ونحن نلاحظ أن الآخرون ليسوا مشكلة بالنسبة إلى الطفل ولا للوعي الراكد, إن المشكلة تكون عند إرادة التغيير التي تستلزم الفهم, أو أن إرادة التغيير تستلزم الوعي بالغير. و هذا ما نتلمسه من خلال علاقة اللغة واللاشعور, فمن المحتمل أن تكون التوترات والصراعات التي تدور داخل النفس قد استطاعت أن تلعب بالبداية دوراً لا غنى عنه في تحديد لغة الإنسان, واللغة هي أداة الفكر والتواصل الوحيدة للتحليل النفسي. وبالمقابل, فإن الإنسان نفسه ينغرس وهو يكتسب اللغة في نظام رمزي سابق الوجود, ومن ثم تخضع رغبته للضغوط النسقية لذلك النظام, فالإنسان يتيح للغة وهو يتبناها, أن تؤثر على طاقاته الغريزية الحرة, وأن تنظمها. إن ربط الوجدانات والعمليات الغريزية بأفكار الكلمات, يعتبر من زاوية تحليلية نفسية, أول خطوة يتحتم على الفرد أن يخطوها في نموه, ومن هذه الزاوية يعتبر التفكير عملية تجريبية يستخدم فيها أقل ما يمكن من كميات الغريزة, وهذه المحاولة في كبح العمليات الغريزية وربطها بأفكار يمكن معالجتها شعورياً, هي واحدة من أعظم اكتسابات الأنا البشرية عمومية وضرورة, ومن ثم فنحن لا نعتبرها نشاطاً للأنا, بل واحداً من عناصرها المكونة التي لا غنى عنها. ذلك أن زيادة شدة العقلانية أثناء المراهقة, بل ربما ذلك التقدم البارز في الفهم العقلي للعمليات النفسية, ليس ببساطة إلا جزءاً من المحاولات العادية للأنا المستقل للسيطرة على الغرائز عن طريق التفكير, فالخطر الغريزي مع قلق الأنا نحو عالم مجهول, هو الذي يجعل الكائنات البشرية ذكية, وفي فترات الهدوء في الحياة الغريزية عندما لا يكون هناك خطر, أو لا يكون هناك تصور حقيقي للخطر على الأقل, يكون بوسع الفرد أن يسمح لنفسه بدرجة معينة من الغباء, ويكون للقلق الغريزي ذلك الأثر المألوف للقلق الموضوعي, فالخطر الموضوعي والحرمانات الواقعية, تدفع بالناس إلى أعمال عقلية فذة ومحاولات عبقرية لحل مشاكلهم.

إن وضع المأزق, أو المشاعر الصادمة والتجارب المريرة أمام الوعي, ثم تحت مناهج الدراسة الموضوعية, مع التوق للشفاء والانعتاق, تشكل عمليات معرفية ومنهجية تعطينا القدرة على التغيير, فنغدو عارفين بالواقع وعلى وعي بضرورة الخلاص والتحرر, فنبحث عن تحقيق الرغبة بالحل وإعادة الاستقرار للوعي المأزوم. ذلك أن المرء يبلغ عاطفة من الانفراج وتفريغ الشحنة بفعل حل مسألة من المسائل, وذلك عندما يفلح جزء من التفكير تحت الشعوري من الوصول إلى نتيجة شعورية مُرضية. والارتياح المؤكد الذي يرافق عادة حل مسألة من المسائل, يوصف على وجه العموم بأنه عاطفة ممتعة من السيادة على الذات, والانتصار الناجم عن انجازات ترتبط بمصالح الأنا, وعواطف حب الذات التي تقلص التوتر بين جوانب النفس , بين الأنا والأنا الأعلى على سبيل المثال, وسيكون من المفيد أيضاً أن نعتبر أن حل المسائل في كل الميادين الإبداعية, يمكنه أن يُفضي إلى اللذة بفعل تفريغ الشحنة.

كان الخوف منها, وفق قاعدة أن كل اندفاع يشكل مصدراً للتوتر – القلق- عودة المكبوت, فلا أمن و لا أمان إلا في الأشياء القديمة المجربة

لا يمكن النظر إلى التفكير باعتباره عملية بيولوجية فقط, بل هو بالإضافة لذلك عملية سيكولوجية ديناميكية

يتجلى اكتشاف التحليل النفسي الفريد في إرجاع النفسي ليس إلى البيولوجي وحسب, بل في الكشف عن الجانب النفسي في الوظائف التي يُعتقد غالباً أنها بيولوجية وجسدية على نحو كلي

أن الغاية الرئيسية لكل تفكير أو فكر هي التواصل مع عالم أو فكرة أو شخص ما

قد يكون التواصل مع العالم سامياً أو وضيعاً, ولكن التواصل حتى مع أحط أنواع النماذج مُفضّل عن الانعزال لأبعد الحدود

إن الفكر ليس بحاجة لإشباع منظم مرتّد إلى ما يديم أو يقيم الاستقراء المادي فقط, بل يحتاج أيضاً لإشباع ما يرتّد إلى حاجة البشري للأمن والحب والاطمئنان والرضا الإيجابي عن الذات, والشعور بالتقدير الذي يمنحنا إياه الآخر أو يُقَر لنا به في العالم

نحن نلاحظ أن الآخرون ليسوا مشكلة بالنسبة إلى الطفل ولا للوعي الراكد, إن المشكلة تكون عند إرادة التغيير التي تستلزم الفهم, أو أن إرادة التغيير تستلزم الوعي بالغير

والواقع إذا ما بحثنا في أصل التفكير والرغبة في المعرفة, وجدنا لذلك أصل عميق في ذات الطبيعة الغريزية الإنسانية التي تسقط أو تصعّد مفاهيمها على الواقع الموضوعي تحت ضغط خطر خارجي مصدره قوة الطبيعة, وآخر داخلي ناتج عن التطور الاجتماعي بتأثير القوانين الأخلاقية. ذلك أن نصف حياتنا, أو نحو ذلك, تجري في حالة من اللاوعي, ففي منطقة الهو, وهي التي تمثل الجانب الغريزي من النفس البشرية, تهيمن العملية المسماة بالعملية الأولية حيث لا يوجد هنالك ائتلاف بين الأفكار, وتكون الوجدانات متاحة للنقل, والمتناقضات لا يستبعد بعضها بعضاً, بل يمكن حتى أن تتحد ويحدث التكثيف بطبيعة الحال. والمبدأ المهيمن الذي يحكم العمليات النفسية هنا هو مبدأ اللذة. أما في الأنا, وهو الجانب الواقعي من النفس البشرية, فنجد العكس, حيث ترابط الأفكار يخضع لشروط صارمة نطلق عليها ذلك المصطلح الشامل – العملية الثانوية – حيث الحفزات الغريزية لم يعد بوسعها أن تسعى إلى الإشباع بغير ضجيج, إنها مطالبة بأن تحترم مطالب الواقع وقوانينه. بذلك يمكن القول أن الفكر ونقيضه يتواجدان معاً في البنية النفسية للإنسان, والمقصود هنا الفكر المنطقي الذي يمتلكه الأنا الواقعي وفق (مبدأ الواقع), والفكر المنفلت من المنطق والخارج عن الحدود الذي يمثله الجانب الغريزي أو (الهو) الذي يخضع لمبدأ "اللذة". لذلك مضى فرويد أكثر من أي شخص قبله إلى توجيه الاهتمام إلى ملاحظة القوى اللاشعورية وغير العقلية وتحليلها, وهو القطاع الذي أهملت العقلانية وجوده, باعتبار أنها قوى تحدد جوانب السلوك الإنساني, بل أظهر كذلك أن هذه الظواهر غير العقلية تتبع قوانين معينة, ومن ثم يمكن أن تفهم فهماً عقلياً من خلال فهمنا للغة الأحلام والأغراض الجسدية, فاكتشف أن هذه التصرفات غير العقلية بالإضافة إلى بنية الطبع الكلية للفرد, هي ردود أفعال على التأثيرات التي يمارسها العالم الخارجي, لاسيما تلك التي تحدث في الطفولة المبكرة, وبالتالي نحن نفهم الفرد عندما نراه في سياق الثقافة التي تصوغه.

لقد استطاع التحليل النفسي أن يكشف عن التعارض الموجود بين السلوك والشخصية, بين القناع الذي ألبسه والحقيقة المختفية وراءه. وكانت بصيرة فرويد الأساسية – وفق لاكان– في اكتشاف أن للاشعور بنية تؤثر بطرق لا حصر لها على أقوال البشر وأفعالهم, وتكشف عن نفسها بهذا التأثير وتصبح قابلة للتحليل. إن اللاشعور يُلح علينا في صور لا تنتهي, نسمعه في أحلامنا, وفيما ننساه, وفيما نتذكره بصورة مشوشة, وفي زلات القلم واللسان, والنكات, والرموز, والعادات, وبالتالي في كل أنماط التفكير. والطاقة النفسية التي تسبب الكبت وتحافظ على استمراره, تواجهها وتتحداها طاقة أخرى تسعى بالخداع والحيلة عموماً إلى دفع محتويات اللاشعور المكبوتة إلى مجال ما قبل الشعوري – الشعوري, لذلك فقد يتكلم اللاشعوري رغم الكبت والرقابة. يتكلم وفق أسلوب خاص به, وما يكشف عنه التحليل النفسي من خلال ظاهرات التحويل أثناء علاج المصابين بالأمراض النفسية, يمكن أن يشاهد أيضاً في حياة غيرهم من الأسوياء, حيث هناك من الناس من يلوحون أن في أعقابهم حظاً عاثراً, أو كان هناك قضاءً غاشماً يقف دون خطاهم, لكن التحليل النفسي قد اهتدى منذ عهد بعيد إلى أن القدر الذي يشكون منه, ومجرى حياة الواحد منهم في الجانب الأكبر منه, لم ترسمه الأحداث الخارجية بقدر ما رسموه هم

من المحتمل أن تكون التوترات والصراعات التي تدور داخل النفس قد استطاعت أن تلعب بالبداية دوراً لا غنى عنه في تحديد لغة الإنسان, واللغة هي أداة الفكر والتواصل الوحيدة للتحليل النفسي

إن ربط الوجدانات والعمليات الغريزية بأفكار الكلمات, يعتبر من زاوية تحليلية نفسية, أول خطوة يتحتم على الفرد أن يخطوها في نموه

يعتبر التفكير عملية تجريبية يستخدم فيها أقل ما يمكن من كميات الغريزة, وهذه المحاولة في كبح العمليات الغريزية وربطها بأفكار يمكن معالجتها شعورياً

أن زيادة شدة العقلانية أثناء المراهقة, بل ربما ذلك التقدم البارز في الفهم العقلي للعمليات النفسية, ليس ببساطة إلا جزءاً من المحاولات العادية للأنا المستقل للسيطرة على الغرائز عن طريق التفكير

الخطر الموضوعي والحرمانات الواقعية, تدفع بالناس إلى أعمال عقلية فذة ومحاولات عبقرية لحل مشاكلهم

إن وضع المأزق, أو المشاعر الحادة والتجارب المريرة أمام الوعي, ثم تحت مناهج الدراسة الموضوعية, مع التوق للشفاء والانعتاق, تشكل عمليات معرفية ومنهجية تعطينا القدرة على التغيير

لأنفسهم, حيث فرضته أهواء الطفولة المبكرة ومؤثراتها, وحتمته ظروف الماضي, لا الظروف التي يقابلهم بالحاضر.

التفكير ودور الثقافة من منظور تحليلي

إن صراع الذات مع العالم, لا يتم فقط من خلال مواضيع خارجية من المحيط الاجتماعي, بل يتم أيضاً داخلياً مع التأثير المتمثل لهذا المحيط داخل الذات الإنسانية من خلال خبرات الطفولة المكبوتة, وجملة القيود الاجتماعية المتمثلة بالأنا العلى, وبهذا المعنى يربط فرويد الصراعات السيكولوجية, بالتطور العام للتاريخ الإنساني, فالغرائز لا سيما الجنسية , يمكن في ظل الضغط الاجتماعي أن تُصعّد إلى أنشطة ثقافية واجتماعية, ولكن هذه العملية تتم على حساب لذة الفرد وسعادته, ذلك لأن الجنس يضع الطبيعة البشرية بيولوجياً, والثقافة الاجتماعية في وضع المواجهة. من هنا قد نرى أن تطور المعارف وارتقائها الحضاري لا يعني اختفاء طفولة العقل البشري, فالعقل البدائي عقل لا يفنى, بكل ما لهذا التعبير من معانٍ, وقد يظن عامة الناس أن ما نسميه أمراض عقلية, هو بالضرورة ما يصيب الحياة العقلية بالدمار, لكن الواقع هو أن الدمار لا يصيب إلا المراحل والأطوار اللاحقة, وربما كان جوهر المرض العقلي أنه عودة إلى طرقه الأولى في العمل مع ما يرافق ذلك من ظروف انفعالية. إن الفكرة المجنونة التي لا تعرف واقعاً, لا نفياً ولا شكاً, ولا درجة من التأكد, تبقى مع ذلك فكرة, ويبقى في جميع الأحوال أن كل هذه التصورات التي لا تقبل التوفيق فيما بينها, ترجع إلى الذات نفسها مهما تكن هذه الذات مشوشة ومبهمة. وقد نرى بعض الأحيان أن في تأمل ما يفكر به الإنسان عند قيامه بالفعل ونقيضه قد يقود للجنون, فالناس المفطورين على التسامح, والذين لا يستطيعون حتى معاقبة طفل شرير, يمكنهم ودون الشعور بالتناقض إطلاق الصواريخ, والأكداس المكدسة من القنابل المدمرة على المدن والناس والأطفال, و كون الناس العاديين هم الذين يقومون بهذا الفعل, أو لا يستهجنونه على الأقل, فإن ذلك يحمل من الغرابة والهول ما تحمله أية فظاعة شيطانية من فظاعات الحرب.

إن الجماهير مثلها مثل الأفراد تحتفظ بانطباعات الماضي في شكل بقايا وآثار ذاكرية لاشعورية. ذلك أن المعرفة البشرية تتكون أساساً من التكيف المتواصل لأنماط الأفكار البدئية التي أعطيت لنا, وهذه تحتاج إلى تعديلات معينة, لأنها وهي في صورتها الأصلية, تتناسب مع أسلوب قديم من الحياة, لا مع متطلبات بيئة متمايزة تخصيصاً. وقد أكد فرويد على أن ظهور الثقافة ارتبط بعملية الانفصال عن الطبيعة, والشخص الذي يقف وراء هذه العملية هو عموماً شخصية أخرى غير الأم, قد تكون الأب, أو العم, الذي يقوم بوظيفة المعرفة, فهو الشخص العارف الذي يدرك الحقيقة ويعلن حركة المستقبل. وإذا كان لا بد من المحافظة على دفق الدينامية الغريزية, مما هو ضرورة مطلقة لوجودنا, فإنه لا بد لنا عندئذ من أن نغير قولبة هذه الصور النموذجية – البدئية في أفكار مكافئة لتحديد الحاضر الراهن. وبالنسبة لفرويد: إنه لأمر واقع أن الإشارات المدركة لحالة عاطفية ما, من طبيعة تثير آلياً العاطفة نفسها لدى الشخص المُدرك, ويزداد هذا الإجبار الآلي حدة كلما زاد عدد الأشخاص الذين نتبين لديهم العاطفة نفسها,

أن المرء يبلغ عاطفة من الانفراج وتفريغ الشحنة بفعل حل مسألة من المسائل, وذلك عندما يفلح جزء من التفكير تحت الشعوري من الوصول إلى نتيجة شعورية مُرضية

من المفيد أيضاً أن نعتبر أن حل المسائل في كل الميادين الإبداعية, يمكنه أن يُفضي إلى اللذة بفعل تفريغ الشحنة

أن الفكر ونقيضه يتواجدان معاً في البنية النفسية للإنسان, والمقصود هنا الفكر المنطقي الذي يمتلكه الأنا الواقعي وفق (مبدأ الواقع), والفكر المنفلت من المنطق والخارج عن الحدود الذي يمثله الجانب الغريزي أو (الهو) الذي يخضع لمبدأ "اللذة".

لقد استطاع التحليل النفسي أن يكشف عن التعارض الموجود بين السلوك والشخصية, بين القناع الذي ألبسه والحقيقة المختفية وراءه

أن للاشعور بنية تؤثر بطرق لا حصر لها على أقوال البشر وأفعالهم, وتكشف عن نفسها بهذا التأثير وتصبح قابلة للتحليل.

قد يتكلم اللاشعوري رغم الكبت والرقابة. يتكلم وفق أسلوب خاص به

يربط فرويد الصراعات السيكولوجية, بالتطور العام للتاريخ الإنساني, فالغرائز لا سيما الجنسية , يمكن في ظل الضغط

فعند ذلك يسكن نقد الفرد, ويدع نفسه تنزلق إلى العاطفة نفسها, لكنه يزيد بذلك إثارة الآخرين الذين كانوا يؤثرون فيه. وهكذا تكبر الشحنة العاطفية للفرد بالسريان المتبادل, والأمر يدور دون ريب حول تأثير نوع من الإجبار على فعل ما يفعله الآخرون, والتفكير كما يفكرون, أي على التوحد مع العدد الكبير. ويبدو أن حلم الإنسان الغريزي بإرادة القوة ما زال مستمراً وسيبقى, وغرائزنا تظهر بأكثر أشكالها فجاجة كلما ساهمت التكنولوجيا في تفجير المكبوت وقهر الطبيعة, ولعل تلك الرغبات تقودنا لمزيد من المرارة أكثر من اللذة التي نبغيها, فنحن نلاحظ بوضوح تام أن طريقتنا في الجري وراء السعادة لا تؤمن لنا دائماً حياة طيبة, فنحن مجتمع من الناس التعساء نعاني من الوحدة والقلق والاكتئاب. وأغلبية الناس أنصاف حالمين – أنصاف أيقاظ, إنهم على غير وعي بأن ما يرونه حقيقة كأمور واضحة لا تحتاج إلى إثبات, ليست إلا أوهاماً من صنع إيحاءات البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها, والمعرفة تبدأ بتبديد الوهم ورؤية الحقيقة عارية. إن أنا واحدة بعينها لا يمكن أن يكون تحت تصرفها إلا عدد محدود من وسائل الدفاع, ففي فترات بعينها من العمر, وتبعاً لما تكون عليه بنيتها النوعية, فإن أنا الفرد تنتقي حيناً وسيلة دفاعية, وحيناً وسيلة أخرى, وهذه الوسائل يكون بوسعها أن تستخدمها على السواء في صراعها مع الغرائز, وفي دفاعها ضد انطلاق الوجدان, وهي في كل صراعاتها تنعم بدرجة أو بأخرى من ثبات الاتجاه في استخدامها كل وسيلة تجدها تحت تصرفها. فالأوضاع البدنية من قبيل التصلب, والجمود. والغرائب الشخصية, كالابتسامة الثابتة, والسلوك الازدرائي أو الساخر أو المتعجرف أو المتحجر, كل هذه مخلفات لعمليات دفاعية جد قوية في الماضي انسلخت عن مواقفها الأصلية, كصراع ضد الغرائز والوجدانات, وتطورت إلى سمات ثابتة في الشخصية.

وقد تُصاب الثقافة المعتزة بنفسها بعارض عميق وغير مُعترف به, هو هاجس القانون التفسيري الوحيد و الواحد, و الجامع المانع, إذ تتسلط فكرة ثابتة هُجاسية تتحكم باستحواذ وبشكل قسري, مفادها أنه يوجد حل أحادي كلي يحتكر الحقيقة, كلي القدرة, وعلى ذلك يسعى الفكر المُصاب بتلك الوساوس إلى الحفر والتنقيب والتخيل والتوهم, بحثاً لا عن حقيقة ظاهرة, بل عن تلك الكلمة السحرية التي تقوم بدور ماء الحياة الشافي لكل جرح, وبذلك يغدو الفكر المتصلب سجين مقولات محددة وشعور وهمي بالأمان. وقد تتحكم به هذه المقولات بقوة ووثوقية تقوده إلى أفكار مسبقة, جاهزة, متراصة, شديدة الضغط على عالمه الواعي واللاواعي, وعلى سلوكه و قيمه, فيصبح السلوك استعراضي, يود إظهار الأبهة, بإظهار أحكام كلية عامة متسرعة وغالباً مفتقدة للعمق, يتظاهر بالقوة والبذخ, فيتحول إلى نرجسي محكوم بانشطار نفسي اجتماعي, فهو يرى الخير في جماعته, مُخلصاً متصلباً, يُلقي المرذول على ما لا يوائم نمطه في الحياة والتفكير, متماهياً مع الفكرة القائلة بأننا حيث نكون أصحاب الحق وأهل المعرفة والأرفع, فإن غيرنا هم الأدنى. وقد أكد التحليل النفسي على أهمية وجود ديناميات معينة في شخصية الفرد تُمارس تأثيرها في تصرفاته المختلفة, حيث أبرز فرويد أهمية اللاشعور في فهم مختلف جوانب الشخصية, بما فيها التعصب الذي يمكن تفسير نموه وارتقائه في ضوء بعض الميكانيزمات, كالإسقاط والإزاحة والتبرير وغيرها. ويرى بان التعصب دالة على الميول البشرية للإسقاط, إسقاط التشابه على وجه التحديد, ويُقصد به الميل الموجود لدينا جميعاً إلى أن نُسقط اندفاعاتنا غير

الاجتماعي أن تُصعّد إلى أنشطة ثقافية واجتماعية

الجنس يضع الطبيعة البشرية بيولوجياً, والثقافة الاجتماعية في وضع المواجهة

أن تطور المعارف وارتقائها الحضاري لا يعني اختفاء طفولة العقل البشري, فالعقل البدائي عقل لا يفنى, بكل ما لهذا التعبير من معانٍ.

ربما كان جوهر المرض العقلي أنه عودة إلى طرقه الأولى في العمل مع ما يرافق ذلك من ظروف انفعالية

إن الجماهير مثلها مثل الأفراد تحتفظ بانطباعات الماضي في شكل بقايا وآثار ذاكرية لاشعورية

أكد فرويد على أن ظهور الثقافة ارتبط بعملية الانفصال عن الطبيعة, والشخص الذي يقف وراء هذه العملية هو عموماً شخصية أخرى غير الأم

بالنسبة لفرويد: إنه لأمر واقع أن الإشارات المدركة لحالة عاطفية ما, من طبيعة تثير آلياً العاطفة نفسها لدى الشخص المُدرك

أن حلم الإنسان الغريزي بإرادة القوة ما زال مستمراً وسيبقى, وغرائزنا تظهر بأكثر أشكالها فجاجة كلما ساهمت التكنولوجيا في تفجير المكبوت وقهر الطبيعة

المرغوب فيها على الآخرين, بوجه خاص الاندفاعات ذات الطابع الجنسي والعدواني, ويساعدنا ذلك على أن نرى الآخرين يفعلون الأشياء التي تخاف أن ننسبها لأنفسنا, هذا الميكانيزم يسمح للشخص أن يُقاتل ويفسق ويفعل أفعالاً شنيعة, لاعتقاده أن الأشخاص الآخرين هم الذين بدؤوا بذلك. على سبيل المثال: إذا استخدم رجل شرطة أبيض العنف بحرية ضد مواطنين سود, فإنه من المحتمل أن يعتقد أن عنفه كان مطلوباً لمواجهة عنف الأقلية السوداء, أكثر من اعتقاده أن ذلك يرجع بصورة صحيحة إلى ميوله الشخصية العدوانية. وفي الكبت والإسقاط تصبح العمليات الغريزية مستحيلة على الإدراك, ففي الكبت تُطرد الفكرة المُستهجنة عائدة إلى الهو الغريزي, بينما في الإسقاط تنتقل إلى العالم الخارجي, والمجتمع لا يكاد يترك فسحة من الوقت لأنا الطفل حتى تصبح على وعي برغباتها, أو حتى تتبين قوتها أو ضعفها بالقياس إلى غرائزها, فاتجاه الطفل من غرائزه, تمليه وعود الآخرين وتهديداتهم, أي يمليه أمل الطفل في الحب أو توقعه للعقوبة. وقد عرفنا أن حركات دافعية تُعاني مصير الكبت المرضي المنشأ عندما تتنازع مع التصورات الثقافية, أو الأخلاقية للفرد. ونحن لا نعني قط بهذا الشرط, أنه لدى الفرد معرفة عقلية بسيطة عن وجود هذه التصورات, بل نعني دائماً أنه يعرفها بوصفها تُمارس سلطة عليه, وأنه يخضع للمقتضيات التي تنجم عنها, وما حملنا على تشكيل مثل الأنا الأعلى, أو الحس الأخلاقي في النظر للواقع, كان على وجه الضبط, التأثير الناقد للأبوين, وقد انضم إليهما في مجرى الأزمنة, المربون والمعلمون والجمهرة التي لا تُحصى ولا تنتهي من كل أشخاص الوسط المحيط, كالآخرين والرأي العام, والمنحى الثقافي المهيمن. حيث يصبح الأنا الأعلى بمثابة المثال للأنا الفردي الذي ينزع إلى الاقتداء به ومشابهته, وإذ يرنو الأنا بلا هوادة إلى الكمال, فإنما انصياعاً منه لمتطلبات الأنا الأعلى الذي يمثل جميع القيود الأخلاقية. لذلك لا يجوز بحال الإغضاء عن دور العوامل السيكولوجية, حين يتعلق الأمر برد فعل الكائنات البشرية الحية على العالم الخارجي وفهمه والتفكير فيه, فهذه العوامل لا تضطلع بدور في بناء الشروط الاقتصادية والفكرية فحسب, بل تعيّن أيضاً جميع أفعال الناس, إذ أن هؤلاء الأخيرين لا يستجيبون لهذه الشروط إلا من خلال دوافعهم الغريزية البدئية, كغريزة البقاء, والعدوانية, والظمأ للحب, والحاجة للذة, وتجنب الألم. وبتملك الإنسان للموضوع, فإنه يُعبّر رمزياً عن التماهي فيه, فقد كان البشر الأوائل يأكلون طوطمهم المقدس لتماهيهم السحري الرمزي فيه, وأنا حين أبتلع الموضوع رمزياً – نعرف القول السائد عن أني سآكل الكتب – فإني أؤمن بوجوده الرمزي داخل كياني. وعلى هذا النحو يُفسر فرويد الأنا الأعلى, بأنها اندماج بالمثل الأعلى الأبوي الاجتماعي الثقافي, وبالطريقة ذاتها يتحقق الاندماج الداخلي لسلطة معينة أو فكرة, فأنا أمتلكها كما هي مُصانة في أحشائي إلى الأبد إن جاز التعبير.

إن الإنسان يمثل التناقض الحي بين الطبيعة والثقافة, فطبيعة الإنسان البيولوجية ليست الطبيعة الإنسانية, إن الإنسان هو هذا التطور الذي فيه وبه, يقوم الثقافي مقابل الطبيعي, فتكون الطبيعة الإنسانية بهذا المعنى, وسط جدلي للتناقض بين الطبيعة الغريزية, والضغوط الاجتماعية التي بلغت مستويات مختلفة من التبطن, هذا بالإضافة إلى أن الطبيعة الإنسانية تتضمن أيضاً صراعات بيولوجية داخلية تنتج عن وجود فعالية غريزية أخرى بين غرائز الموت و الحياة . ويبدو

أن طريقتنا في الجري وراء السعادة لا تؤمن لنا دائماً حياة طيبة, فنحن مجتمع من الناس التعساء نعاني من الوحدة والقلق والاكتئاب

أغلبية الناس أنصاف حالمين – أنصاف أيقاظ, إنهم على غير وعي بأن ما يرونه حقيقة كأمور واضحة لا تحتاج إلى إثبات, ليست إلا أوهاماً من صنع إيحاءات البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها, والمعرفة تبدأ بتبديد الوهم ورؤية الحقيقة عارية

الأوضاع البدنية من قبيل التصلب, والجمود, والغرابة الشخصية, كالابتسامة الثابتة, والسلوك الاندرائي أو الساخر أو المتعجرف أو المتجبر, كل هذه مخلفات لعمليات دفاعية جد قوية في الماضي انسلخت عن مواقفها الأصلية

قد تُصاب الثقافة المعتزة بنفسها بعارض عميق وغير مُعترف به, هو هاجس القانون التفسيري الوحيد و الواحد, و الجامع المانع, إذ تتسلط فكرة ثابتة هُجاسية تتحكم باستحواذ وبشكل قسري, مفادها أنه يوجد حل أحادي كلي يحتكر الحقيقة, كلي القدرة

يسعى الفكر المُصاب بتلك الوساوس إلى الحفر والتنقيب والتخيل والتوهم, بحثاً لا عن حقيقة ظاهرة, بل عن تلك الكلمة السحرية التي تقوم بدور ماء الحياة الشافي لكل جرح

يغدو الفكر المتصلب سجين

أن الثقافة تعمل في خدمة غرائز الحياة, فهي تربط الأفراد بعضهم ببعض, وتصنع منهم الأسر والقبائل والأجناس والأمم, وتوحد بينهم في وحدة كبرى هي الإنسانية. وتطور الحضارة ليس سوى صراع الجنس البشري من اجل البقاء والاستمرار والخلود. لذلك جاءت الحضارة كثمرة لاستنكار الإشباع الغريزي, وهي تنتزع من كل قادم جديد إليها هذا الاستنكار نفسه, وطوال حياة الفرد هناك استبدالاً مستمراً للقهر الخارجي بالقهر الداخلي, وتسبب تأثيرات الحضارة تحولاً متزايداً باطراد للاتجاهات الأنانية إلى اتجاهات اجتماعية. هكذا يتم إخضاع الكائن البشري, ليس فقط لضغط بيئته المباشرة, وإنما أيضاً لتأثير التطور الثقافي الذي بلغه آباؤه الأوائل.

ووفق فروم, يبدو أن للمجتمع وظيفة أخرى غير الوظيفة القامعة للميول العدوانية والجنسية والغريزية, هي وظيفة إبداعية. كما يؤكد فرويد أن القوى المستخدمة للعمل الثقافي تنشأ على هذا النحو في جزء كبير منها, من قمع ما نسميه العناصر المنحرفة من الإثارة الجنسية, فانعدام الإشباع للدوافع الجنسية الذي تسببه الحضارة جراء الكبت, هو العاقبة لبعض الخصائص التي جعلها الدافع الجنسي خصائصه تحت ضغط الحضارة, ولكن هذا العجز ذاته, عجز الدافع الجنسي عن تأمين الإشباع الكامل, منذ أن يخضع للمقتضيات الحضارية الأولى, يصبح مصدر الروائع الثقافية الأكثر عظمة التي أنجزت بفعل تصعيد لمكنوناته الدافعية. فالنزعات الجنسية وتأكيد الذات التي تبدو في مجموعها, كمحركات للحضارة والثقافة, تشكل في الوقت نفسه المخاطر الأساسية التي تهدد منجزات المجتمع الثقافية, حيث يتحدث فرويد عن التضاد بين الدافع الجنسي والحضارة, ولكنه وفي محصلة لاحقة, يعترف بأهمية الصراع بين الاندفاعات العدوانية والمجتمع في بناء الحضارة نفسها. فمفهوم ثنائية المشاعر, أي النزاع بين عاطفتين متعارضتين, من الحب والكراهية, يمثل في رأي فرويد علامة على تقدم الحضارة ليبدو أن الفارق غير القابل للتقليص بين مقتضيات دافعين هما الدافع الجنسي والأناني, هو الذي يجعل الناس قادرين على الإنجازات الأكثر رفعة على الدوام. ولعلنا نلاحظ أن كلاً من العمل الأدبي والنكتة, يتيحان لنا أن نستمتع باستيهاماتنا الجنسية والعدوانية, ورغباتنا الخاصة, بل والحميمية, دون وساوس ولا خجل. ويدخل ضمن ذلك إيماننا بامتلاك بعض الحقائق الثابتة الذي لا يمكن فيها استبعاد التقمص لدور الأب العارف والقوي. وقد تعلمنا أن الذكاء هو القوة الأمضى, لكننا في الواقع نخطئ إن نحن نظرنا إليه كأداة مجردة بمعزل عن الحياة العاطفية والنفسية الفاعلة في آلياته, فالذكاء البشري يعمل بكفاءة عندما يكون بمنأى عن النوازع العاطفية القوية, وإلا فإنه يتصرف كأداة في خدمة الإرادة والاعتقاد, يستخرج من البراهين والنتائج ما يكون في مصلحة الإرادة, وفي الواقع فإن أذكى الناس يتخلون عن ذكائهم فجأة, و يتصرفون كالحمقى بمجرد أن يتواجد ذكاؤهم في مواجهة مع مقاومة عاطفية, أي يصطدموا برغبات مكبوتة, وبمجرد أن يتغلبوا على هذه المقاومة فإنهم يستعيدون الحدة التي كانت لذكائهم.

التفكير العلمي من منظور تحليلي

التفكير ليس مجرد نتاج آلي لفعل فيزيائي ينعكس من العالم إلى الحواس, كما أنه ليس رد

مقولات محددة وشعور وهمي بالأمان. وقد تتحكم به هذه المقولات بقوة ووثوقية تقوده إلى أفكار مسبقة, جاهزة, متراصة, شديدة الضغط على عالمه الواعي واللاواعي, وعلى سلوكه و قيمه, فيصبح السلوك استعراضي

هو يرى الخير في جماعته, مُخلصاً متطلباً, يُلقي المرذول على ما لا يوائم نمطه في الحياة والتفكير, متماهياً مع الفكرة القائلة بأننا حيث نكون أصحاب الحق وأهل المعرفة والأرفع, فإن غيرنا هو الأدنى

أبرز فرويد أهمية اللاشعور في فهم مختلف جوانب الشخصية, بما فيها التعصب الذي يمكن تفسير نموه وارتقائه في ضوء بعض الميكانيزمات, كالإسقاط والإزاحة والتبرير وغيرها

التعصب دالة على الميول البشرية للإسقاط, إسقاط التشابه على وجه التحديد

هذا الميكانيزم يسمح للشخص أن يُقاتل ويفسق ويفعل أفعالاً شنيعة, لاعتقاده أن الأشخاص الآخرين هم الذين بدؤوا بذلك

في الكبت والإسقاط تصبح العمليات الغريزية مستحيلة على الإدراك, ففي الكبت تُطرد الفكرة المُستهجنة عائدة إلى الهو الغريزي, بينما في الإسقاط تنتقل إلى العالم الخارجي

إذ يرنو الأنا بلا هوادة إلى الكمال, فإنما انصياعاً منه

فعل بيولوجي بحت يتعامل مع انطباعاتحسية آتية من العالم الخارجي. إنه إعادة صياغة وفهم تأويلي للعالم, هذا التأويل, يحمل بطبيعته فهم مستقل عن حقيقة العالم كموجود معطى. إنه فهم تحكمه الطبيعة النفسية التي تجعل الناس تنظر لنفس الموضوع نظرات مختلفة, حسب تغير الزمان والمكان. وتجاوبنا مع ما هو غير متوقع, يتيح لنا إعادة فهم الذات وتفاعلها مع الموضوع. وبالمقابل, فإن معرفة الذات – من حيث هي عملية تكرارية تفاعلية – تهبنا استبصارات للعلم, والعلم يلقي الضوء على المسائل الشخصية, وكلما اكتشفنا أكثر عن الطبيعة, كلما اكتشفنا أكثر عن أنفسنا, وإذ نكون على وعي بالرابطة بين النفس والتجربة, نستطيع أن نطرح على أنفسنا أسئلة مختلفة حين يبدو العمل غير هادئ. وحين تخيبنا التجربة, أو مشروع البحث, أو حين تتواصل ظهور المشاكل, يمكن أن نقطع خطوة إلى الوراء ونتدبر ما إذا كان ثمة شيء ما ذاتي, ربما تشير التجربة إلى الحاجة لتعديل منظورنا في المجال الشخصي, وبالمثل تماماً في البحث العلمي, نستطيع أن نتساءل, إذا صنعت هذه التجربة بصورة مجازية, ماذا سيحدث هنا, وما هي الديناميات الكامنة في الخلف, فنحن نستطيع أن نفحص تفاعلنا مع الطبيعة لنتعلم المزيد عن أنفسنا.

ومن الوجهة التحليلية يمكن القول أن الانفعال هوالصفة الرئيسية التي تربط أنواع العصاب النفسي للشخصيات التي أدت أعمال اًخلاقة, وينشأ العصاب عنصرا عقائم بين الرغبة ومحاولات تحقيقها, وكلما ازدادت الرغبة اتقاداً, زاد احتمال أن يؤدي إحباطها إلى العصاب, وقد ييسر هذا بدوره تحقيق الرغبة, أو يؤدي دور الحاضر للتطهير العقلي الذي ينتج عنه عمل خلاق عظيم, ويبدو أن هذا هو أساس العلاقة بين العصاب النفسي والإبداع.الذي نسميه تحليلياً بالتصعيد. وبالمقابل, فإن الفوران المتواصل للأفكار يؤدي غرضين حاسمين, فهو يغذي الخيال للشخص العلمي, كما تُطرح أسئلة جديدة يحاول عقله الإدراكي المنظم صياغتها بطريقة تنفيذية, وكل فكرة يتم اختبارها و التأكد من صحتها, هي خطوة صغيرة إلى الأمام في حصيلة الفهم. إن البحث العلمي, في أي درجة من درجات دأبه, هو مشروع انفعالي, وتأسيس المعرفة الطبيعية يتوقف قبل كل شيء آخر على النفاذ إلى ما يمكن تخيله, ولكنه غير معروف. و كم هي عقيمة تلك المناقشات العامة حول قيمة العلم, إن لم تنفذ إلى تفصيل قيمة الأفكار العلمية, ولم تر أن كل فكرة علمية تحقق بصورة ملموسة قيمة نفسية من مستوى عالٍ, بذلك حسب باشلار أن البنية العقلية ليست بنى ثابتة, بل متطورة بفعل أثر المعارف العلمية عليها, فالمعارف العلمية الحديثة والمكتشفة, لا تؤثر في تطور المعرفة العلمية وحسب, بل تؤثر أيضاً على بنية الفكر الذي ينتج هذه المعرفة.

من هنا يؤكد غاستون باشلار على ضرورة إتباع التحليل النفسي على صعيد تطور الفكر العلمي, فكما أن هناك لاشعور على مستوى النفس البشرية, فإن هناك مكبوتات لاشعورية على مستوى الباحث العلمي, وعلى فيلسوف العلم أن يبحث في أثرها من خلال عمل هذا الباحث, وكما أن المحلل النفسي يرى أنه من الخطأ الاكتفاء بالبحث من خلال مظاهر السلوك الإنساني الشعورية الخارجية, فإن باشلار يرى أنه من الخطأ عند البحث في موضوعية المعارف, أن نبحث في التجربة أو في مجرد تأكيد الواقع, فما ينبغي ملاحظته هو الملاحظ العلمي, من أجل أن نضع

لمتطلبات الأنا الأعلى الذي يمثل جميع القيود الأخلاقية

يُفسر فرويد الأنا الأعلى, بأنها اندماج بالمثل الأعلى الأبوي الاجتماعي الثقافي, وبالطريقة ذاتها يتحقق الاندماج الداخلي لسلطة معينة أو فكرة, فأنا أمتلكها كما هي مُصانة في أحشائي إلى الأبد إن جاز التعبير.

إن الإنسان يمثل التناقض الحي بين الطبيعة والثقافة, فطبيعة الإنسان البيولوجية ليست الطبيعة الإنسانية, إن الإنسان هو هذا التطور الذي فيه وبه, يقوم الثقافي مقابل الطبيعي

أن الطبيعة الإنسانية تتضمن أيضاً صراعات بيولوجية داخلية تنتج عن وجود فعالية غريزية أخرى بين غرائز الموت و الحياة

أن الثقافة تعمل في خدمة غرائز الحياة, فهي تربط الأفراد بعضهم ببعض, وتصنع منهم الأسر والقبائل والأجناس والأمم, وتوحد بينهم في وحدة كبرى هي الإنسانية

تطور الحضارة ليس سوى صراع الجنس البشري من اجل البقاء والاستمرار والخلود.

يتم إخضاع الكائن البشري, ليس فقط لضغط بيئته المباشرة, وإنما أيضاً لتأثير التطور الثقافي الذي بلغه آباؤه الأوائل

أن للمجتمع وظيفة أخرى غير الوظيفة القامعة للميول العدوانية

أمامنا تفسيراته العقلية المكبوتة ودورها في اكتشافاته العلمية. وعندها سنجد دون أدنى شك, أن بنية العقل قبل الثورة العلمية المعاصرة, وبعدها, ليستا متطابقتين, وعلى الابستمولوجي أن يبرز هذا التغير الحاصل ويعكسه في موقفه الفلسفي. كما عليه أن يحلل عمل الباحث العلمي, ليبرز فيه الجانب الباطني وأهميته للعمل العلمي, حيث يؤثر هذا الجانب فيه دون وعي منه, وهولهذا السبب بالذات, قد يعوق السير الطبيعي للفكر العلمي في فهم الظواهر التي يقوم بدراستها.إن طريقة باشلار في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية, تتلخص بالعثور على تأثير القيم اللاواعية الكامنة في أساس المعرفة الامبيريقية العلمية ذاتها, وبالتالي يجب علينا, أن نكشف عن الضوء الذي ينعكس بالتبادل وينتقل دون كلل من جانب المعارف الموضوعية والاجتماعية, إلى جانب المعارف الشخصية والذاتية. وبالعكس, يجب إظهار آثار الخبرة والتجربة الطفولية الكامنة في التجربة العلمية. بذلك نضع قاعدةً للحديث عن لاوعي التفكير العلمي. حيث لا يمكن الفصل بين الذاتي والموضوعي فيما يتعلق بالمسائل العلمية الطبيعية, وهنا يغدو دور المحلل النفسي للفكر العلمي, حيث نجد في النظريات التي تم قبولها بشكل أو بآخر من قبل العلماء أو الفلاسفة, معتقدات هي غالباً ساذجة جداً, هذه المعتقدات التي لم تُناقش, بها كثير من البريق المتطفل الذي يسبب الاضطراب في الوضوح الشرعي الذي من الواجب على العقل أن يراكمه في جهد استدلالي منطقي".لذلك يعلل باشلار الركود الذي يسبق القطيعة الابستمولوجية, بتحليل نفسي للمعرفة العلمية, فهو يرى وجود مفاهيم لاشعورية خلف البحث العلمي الواعي, تلعب دوراً أساسياً في كبح المسيرة العلمية, كمشكلة التجربة الأولى, والتعميم السريع. فإذا كان صحيحاً أن التجربة مثلاً, تلعب دوراً أساسياً وديناميكياً فعالاً في الفكر العلمي, إلا أنه يكمن خلفها عائق ابستمولوجي يتخذ صورة تجربة أولى حسية, لا تأخذ بعقلنة الظاهرة.

إن التناقض الذي هو قانون اللاوعي, مترسب في المعرفة الماقبل علمية, وهذا ما يطلعنا به دراستنا لتاريخ العلم,إذ يتحدث باشلار عن الفرق بين العقل قبل العلمي الذي كان سائداً في القرن السابع والثامن عشر, وعصر ثورات الفيزياء الحديثة التي أرست أسس العقل العلمي وأحدثت القطيعة مع هذا الفكر القديم, فيقول:" حين نقرأ المؤلفات العديدة المخصصة للعلم الكهربائي مثلاً في القرن الثامن عشر, فإن القارئ الحديث سيكتشف بنظرنا مدى الصعوبة التي يعانيها المرء حتى يتخلص من جاذبية الملاحظة الأولى, وتحرير الاختبار من سماته الطفيلية ومعالمه غير المنتظمة بدقة, عندئذ سيظهر بوضوح تام أن التجربة الأولى, لا تقدم الصورة الصحيحة للظواهر, ولا حتى وصف الظواهر المنتظمة بدقة, وبالتالي فإن تلك العقائد البدائية التي تتعلق بظواهر معقدة جداً, تفرض نفسها كعقائد سهلة كشرط أولي لازم لكي تكون مسلية, وهي تفرض نفسها موسومة بسمة تجريبية واضحة وملموسة, ومما يطيب للكسل الفكري هو حصره في نطاق التجريبية وتسمية الواقعة واقعة, ومنع البحث عن القانون".. إن بنيتنا العقلية تنتج معارف, لكنها تخضع بدورها لتأثير تطور هذه المعارف, فتعرف بذاتها تطوراً, فالعلم بصفة عامة, يعلّم العقل الذي يخضع بدوره للعلم الأكثر تطوراً, فتغدو بذلك الثورات العلمية نتيجة لتلك العلاقة الجدلية بين النتاج العقلي, والفعالية العلمية المتطورة". وذلك يقوم على الخيال وحلم اليقظة, أكثر مما يقوم على التجربة التي تتلخص مهمتها الفعلية باستبعاد ضبابية وغشاوة هذا الحلم. إن نفس الفعل

والجنسية والغريزية, هي وظيفة إبداعية

عجز الدافع الجنسي عن تأمين الإشباع الكامل, منذ أن يخضع للمقتضيات الحضارية الأولى, يصبح مصدر الروائع الثقافية الأكثر عظمة التي أنجزت بفعل تصعيد لمكنوناته الدافعية

نلاحظ أن كلاً من العمل الأدبي والنكتة, يتيحان لنا أن نستمتع باستيهاماتنا الجنسية والعدوانية, ورغباتنا الخاصة, بل والحميمية, دون وساوس ولا خجل

تعلمنا أن الذكاء هو القوة الأمضى, لكننا في الواقع نخطئ إن نحن نظرنا إليه كأداة مجردة بمعزل عن الحياة العاطفية والنفسية الفاعلة في آلياته.

في الواقع فإن أذكى الناس يتخلون عن ذكائهم فجأة, و يتصرفون كالحمقى بمجرد أن يتواجد ذكاؤهم في مواجهة مع مقاومة عاطفية, أي يصطدموا برغبات مكبوتة

التفكير ليس مجرد نتاج آلي لفعل فيزيائي ينعكس من العالم إلى الحواس, كما أنه ليس رد فعل بيولوجي بحت يتعامل مع انطباعاتحسية آتية من العالم الخارجي. إنه إعادة صياغة وفهم تأويلي للعالم

من الوجهة التحليلية يمكن القول أن الانفعال هوالصفة الرئيسية التي تربط أنواع العصاب النفسي للشخصيات التي أدت أعمال أخلاقة

الذي يتعامل مع نفس المادة ليعطي نفس النتيجة الموضوعية, ليس له نفس المعنى الذاتي بالنسبة لعقليات مختلفة, مثل عقلية الإنسان البدائي, و عقلية الإنسان المتعلم.

الخاتمة

يقول باشلار:"إن المبدأ الأول للتربية العلمية يبدو لي في الملكوت الفكري, إنه هذا الزهد الذي هو التفكير المجرد الذي وحده يستطيع أن يقودنا إلى سيادة المعرفة الاختبارية, لذلك لا بد من التأكيد على ضرورة إجراء تحليل نفساني للمعرفة الموضوعة على اعتبار أنه حتى في ملكوت العلوم الصحيحة, يعتبر خيالنا إعلاءً وتسامياً وتصعيداً, وهذا الأمر مفيد, لكنه يمكن أن يخدع طالما أننا لا نعرف ما نمجد وكيف نمجده, وهذا لا يكون صالحاً إلا بقدر ما نحلل مبدأه نفسياً, ونفسياً لا توجد حقيقة بدون خطأ مصحح وإن سيكولوجيا الموقف الموضوعي هي تاريخ أخطائنا".إن الإنسان لغز بالنسبة لنفسه, ويتضح لنا الأمر إذا نحن أخذنا بالاعتبار افتقاره إلى وسيلة للمقارنة الضرورية لمعرفة نفسه, فهو يعرف أن يميز بين نفسه وغيره من الحيوانات, من وجهة التشريح والفيزيولوجيا, لكنه من حيث هوكائن واعٍ مفكر يتمتع بهبة الكلام, فإنه يفتقر إلى جميع العبارات اللازمة لتقدير نفسه, هو ظاهرة فريدة على هذا الكوكب, لا يستطيع أن يقارنها بأي شيء آخر, فإمكانية المقارنة لمعرفة نفسه, لا تنهض إذا استطاع إقامة علاقات مع ثدييات شبه بشرية تسكن كواكب أخرى.

بعض المراجع للاستزادة

1- إريك فروم: الإنسان بين الجوهر و المظهر - ترجمة : سعد زهران , عالم المعرفة , الكويت , عدد 140 1989.

2- سيغموند فرويد : محاضرات جديدة في التحليل النفسي - ترجمة : جورج طرابيشي , دار الطليعة , بيروت , ط2 1998

3- سيغموند سيجموند : ما فوق مبدأ اللذة - ترجمة : اسحق رمزي, دار المعارف, مصر, ط2 1966

4- سيغموند فرويد: الحب والحرب والحضارة والموت - ترجمة : د عبد المنعم الحفني , دار الرشاد, القاهرة ط1 1992

5- علي زيعور : التحليل النفسي للذات العربية - أنماطها السلوكية و الأسطورية - دار الطليعة , بيروت , ط1 1977.

6- مجموعة من المؤلفين : جاك لاكان و إغواء التحليل النفسي - ترجمة و إعداد : عبد المقصود عبد الكريم , المجلس العلى للثقافة 1999.

7- أنا فرويد : الأنا و ميكانيزمات الدفاع - ترجمة : صلاح مخيمر , عبده ميخائيل رزق - مكتبة الأنجلو مصرية , بلا تاريخ.

8- مجموعة من المحللين النفسيين : التصعيد دروب الابداع - ترجمة : وجيه أسعد , منشورات وزارة الثقافة , دمشق 1996

كل فكرة يتم اختبارها و التأكد من صحتها, هي خطوة صغيرة إلى الأمام في حصيلة الفهم

إن البحث العلمي, في أي درجة من درجات دأبه, هو مشروع انفعالي, وتأسيس المعرفة الطبيعية يتوقف قبل كل شيء آخر على النفاذ إلى ما يمكن تخيله, ولكنه غير معروف

أن كل فكرة علمية تحقق بصورة ملموسة قيمة نفسية من مستوى عالٍ

أن البنية العقلية ليست بنى ثابتة, بل متطورة بفعل أثر المعارف العلمية عليها

المعارف العلمية الحديثة والمكتشفة, لا تؤثر في تطور المعرفة العلمية وحسب, بل تؤثر أيضاً على بنية الفكر الذي ينتج هذه المعرفة

كما أن هناك لاشعور على مستوى النفس البشرية, فإن هناك مكبوتات لاشعورية على مستوى الباحث العلمي

أن بنية العقل قبل الثورة العلمية المعاصرة, وبعدها, ليستا متطابقتين, وعلى الابستمولوجي أن يبرز هذا التغير الحاصل ويعكسه في موقفه الفلسفي

نجد في النظريات التي تم قبولها بشكل أو بآخر من قبل العلماء أو الفلاسفة, معتقدات هي غالباً ساذجة جداً,

9- عبد الرحيم , عدنان : فرويد و الطبيعة الإنسانية - دار الحقائق , ط1 1991

10- جون- ب.ديكنسون : العلم و المشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث - ترجمة : شعبة الترجمة في اليونسكو , عالم المعرفة , الكويت , عدد 112 , 1987

11- محمد وقيدي : فلسفة المعرفة عند جاستون باشلار - دار الطليعة , بيروت , ط1 1980

12- جاستون باشلار : النار (التحليل النفسي لأحلام اليقظة) - ترجمة : درويش الحلوجي , دار كنعان , دمشق ط1 2005

13- جاستون باشلار :تكوين العقل العلمي (التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية) - ترجمة : خليل أحمد خليل - المؤسسة الجامعية للنشر , بيروت ط3 1986

وجود مفاهيم لاشعورية خلف البحث العلمي الواعي, تلعب دوراً أساسياً في كبح المسيرة العلمية, كمشكلة التجربة الأولى, والتعميم السريع

إن بنيتنا العقلية تنتج معارف, لكنها تخضع بدورها لتأثير تطور هذه المعارف, فتعرف بذاتها تطوراً,

*يتم نشر المقالة في العدد 69 من المجلة المحكمة في علوم وطب النفس "نفسانيات" (شتاء 2020) ضمن أعمال الملف:

" التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)"

الذي يشرف على إعداده كل من الأستاذ الدكتور رياض بن رجب و الأستاذة الدكتورة مرسلينا شعبان حسن

إرتباط كامل النص:

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMouadhPsychoanalysisOfThinking.pdf

****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني

http://www.arabpsyfound.com

*** *** ***

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الويب

20 عاما من الكدح... 18 عاما من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى اوطاننا، وترقى امتنا

-- -- -- --

*** *** ***

المجلة العربية " نفسانيات"

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

ملفات الأعداد القادمة

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/Nafssaniat-NextTopics.pdf

عدد 69 – شتاء 2021

الملف: التحليل النفسي والثقافة (الثقافة العربية بخاصة)

المشرف : ا. د. رياض بن رجب – د. مرسلينا شعبان حسن

mar-selena@hotmail.com
riadhbenrejeb@yahoo.fr
arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30-12-2020

استهلال ودعوة لاثراء الملف

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMarcelinaPsychoanalysis&Culture.pdf

عدد 70 – شتاء 2021

الملف: النفس وعلومها من منظور الفكر الاسلامي

المشرف : د. حسينة زكراوي– علم النفس، الجزائر

soso.psy@gmail.com
arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 29- 02-2021

عدد 71 – ربيع 2021

الملف: الاضطرابات الرهابية في المجتمع العربي

المشرف : د. غنية العزيز – علم النفس، الجزائر

bouazieze@gmail.com
arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30- 04-2021

ملفات ملحقة (تعوض المبرمجة ان تعذر جمعوزيتها)

عدد ... – .....

صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية

المشرف : الدكتور صلاح الدين تغليت – الجزائر

tighlitsalahedinne@gmail.com
arabpsynet@gmail.com

عدد ... – .....

اضطراب طيف الذاتوية

المشرف : الدكتور صلاح الدين تغليت – الجزائر

tighlitsalahedinne@gmail.com
arabpsynet@gmail.com